

هـ - بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام
للاستاذ محمد عبد الله عنان

وكان الجيش الاسلامي في حال تدعو الى القلق والتوجس ، فان الشقاق كان يضطرم بين قبائل البربر التي يتألف منها معظم الجيش ، وكانت تتوق الى الانسحاب ناجية بغنائمها الكبيرة . وكان المسلمون في الواقع قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المطفر ونهبوا جميع كنائسها وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبي فكانت هذه الاثقال النفيسة تحدث الخلل في صفوفهم وتثير بينهم ضروب الخلاف . وقدر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش واهبته وخشى مما تثيره في نفوس الجند من الحرص والانشغال وحاول عبثا ان يحملهم على ترك شيء منها ؛ ولكنه لم يشدد في ذلك خيفة التمرد . وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة منذ دخلوا فرنسا ، ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم في كثير من القواعد والمدن المفتوحة . ولكن

المعرفة بالعقل على المعرفة بالآيمان . ٣ - باعتقاده أن الانسان قادر على رؤية الله عز وجل في الدنيا . ٤ - بأقواله المنتجة مذهب تأليه الكل أو البانتيسم الشمولي . وما كان أحد ليخلو من عتب أهل الدين ولومهم . ومدار القصة بكاملها هي أن معرفة الله الفلسفية أسمى من المعرفة الدينية ، وهذا مالاقي في سبيله ابن رشد واضرا به من التعذيب والاضطهاد مالاقي

هذه لمحة - ربما تكون سطحية في قصة حنن بن يقظان - عن النظريات والمذاهب الفلسفية التي تضمنتها ، وربما عدنا الى الموضوع في بحث آخر نفصل فيه العناصر الاجنبية في فلسفة ابن الطفيل وتعاليمه ، ونختم الآن هذا الفصل في أن: فيلسوف الاندلس قد أجاد كل الاجادة في سبك قصته الفلسفية وأسلوبه فيها جميل سهل وجذاب يقرب إلى ذهن القارئ الاقوال الفلسفية ، ومع أن لإنشاءها سهل وبسيط رائع لم نخل أحيانا من التعقيد والغموض . ونتيجة القول أن هذا الكتيب الفيس مشحون بالتعاليم الفلسفية الاسلامية ترفرف عليه روح الافلاطونية الحديثة ، ومن يطالع على هذه القصة يوافق الافرنج على حكمهم : « انها آية من آيات القصص العربية الحكيمة ومختصر فلسفة العرب . » ١ هـ

احمد المحمود

سوريا طرطوس

عبد الرحمن تأهب لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة وبدأ القتال في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أو آخر شعبان سنة ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك جزئية مدى سبعة أيام أو ثمانية احتفظ فيها كل بمراكزه . وفي اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة فاقتتلا بشدة وتعادل حتى دخول الليل . واستأنفا القتال في اليوم التالي ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد حتى بدا الاعياء على الفرنج ولاح النصر في جانب المسلمين . ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر الغنائم الاسلامي ، وخشى عليه من السقوط في أيديهم ، أو حدث كما تقول الرواية أن ارتفعت صيحة مجبور في المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم يكاد يقع في يد العدو . فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتوالت كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم . فذب الخلال الى صفوف المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام وان يهدى روع الجند ، وبينما يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الاعداء سهم أودى بحياته ، فسقط قتيلاً من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب في الجيش الاسلامي ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل في صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل . وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) (١)

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلاف الرأي وهاجت الحواطير وسرى التوجس والفرع . ورأى الزعماء أن كل أمل في النصر قد غاض فقرروا الانسحاب على الأثر . وفي الحال غادر المسلمون مراكزهم وارتدوا في جوف الليل ، وتحت جنح الظلام جنوباً ، صوب قواعدهم في سبتانيا ، تاركين أنفاسهم ومعظم اسلحتهم غنماً للعدو . وفي فجر الغد لاحظ كارل وحليفه أودو سكوت المعسكرات العربية فتقدموا منها بحذر واحجام فالفياها خاوية خالية الا من بعض الجرحى الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنحسب ، فذبجوا على الأثر . وخشى كارل الخديعة والسكمين فاكتمفى بالانسحاب العدو ولم يجرؤ على مطاردته وآثر العود بجيشه الى الشمال .

(١) تجمع معظم الروايات الفرنجية والكسنية على أن الموقعة كانت في أكتوبر سنة ٧٣٢ م . وهذا التاريخ يوافق بالهجرة شعبان سنة ١١٤ هـ بيد أن الرواية الاسلامية تختلف في تحديد هذا التاريخ ، فالبعض يقول انها كانت سنة ١١٥ هـ (ابن عبد الحكم ص ٢١٧ - الضبي في بغة الملتبس رقم ١٠٢١ - ابن عذاري ج ١ ص ٢٧ ولكنه يعود فيذكر ان الموقعة كانت سنة ١١٤ هـ - ج ٢ ص ٢٨) . ولكن ابن الاثير (٥ ص ٦٤) وابن خلدون (٤ ص ١١٩) والمقرئ عن ابن حبان (ج ١ ص ١٠٩ وج ٢ ص ٥٦) متفقون على انها كانت سنة ١١٤ هـ - ويقول الاخير ان انها كانت في رمضان سنة ١١٤ هـ . وهو أصح تعيين يتفق مع الرواية العربية

الفرار خديعة يعقبها غمكين من جهات أخرى فاحاطوا بالمعسكر حذرين دهشين . ولكن الغزاة قد فروا . وبعد ان اقتسم الفرنج الغنائم والاسرى فيما بينهم بنظام عادوا معتبطين الى ديارهم (١) »
وأما الرواية الإسلامية فهي ضمنية في هذا الموطن كل الضن كما أسلفنا ويمر معظم المؤرخين المسلمين على تلك الحوادث بالصمت أو الإشارة الموجزة كما سنرى غير أن المؤرخ الاسباني كوندى يقدم النبا خلاصة من أقوال الرواية الاندلسية المسلمة (٢) عن غزو فرنسا وعن موقعة تور نقلها مترجمة فيما يلي: - (يتبع)

(١) هذه هي رواية ابن يدور الباجي وهو معاصر للموقعة — راجع: Creasy: Gibbon: وكذلك: Charles the Great: ibidch VII-Holgkin و Ch LII, ch.III فيها نقل هذه التفاصيل وتلخص

(٢) لم نقف في أى المصادر العربية التي بين أيدينا على أصل هذه الأقوال التي يقول كوندى انه اقتبسها من الرواية العربية ولم يذكر هو مصدر اقتباسه . ومن المحقق أنه نقلها عن بعض مخطوطات الاسكوريال أو الجمعيات الخاصة التي لم تتداول حتى عصرنا . ولعله نقلها على الأغلب من كتاب جذوة المقتبس للحميدى حيث يقول في مقدمته أنها انتفع به في عصر الفتح والولاة الاوائل . ولعله أيضاً نقل شيئاً منها من شذور لابن حيان وابن بشكوال ويوحنا أن الحجاري في كتابه المسهب ، قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل حيث نقل المرقى عنه شذرة قيد ذلك (نقح ١ ص ١٢٩) ولعل كوندى وقف على شيء منها . غير أن هذه المصادر جميعها لا توجد للأسف بين أيدينا وليست بين محتويات دار الكتب المصرية وما تزال مخطوطة في ظلمات الاسكوريال وغيره من المكاتب الاوربية . وقد يتاح لنا يوماً أن نظفر بالاطلاع عليها والانتفاع بها راجع حديث كوندى عن مصادره في مقدمه الترجمة الانكليزية (ج ١ ص ٢٣)

الصحة والقوة

وجسم عجيب وعقل مجيئ للنجاح

النخافة . السمنة . قصر لقامة . العادة السرية . الاضطراب
الضعف لتسائل . الإسهال . ضعف المعدة . القلب . الصد
الأعصاب . تقوس لأرجل . الخج . ضعف لذكارة ولأرادة
قلة الثقة في النفس وكل الأمراض المزمنة والعيوب الجسمية والعقلية
يمكن علاجها في المنزل علاجاً سريعاً أكيداً بتمرينات خاصة .
كل شيء مشروح في

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بمائة نقط ١٠ مليمات طابع برنسنه للبريد
(قسمه مجاوب في الخارج) عينة لكنا بالذي تطلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجر السردى فاروق مصر
تليفون ٥٠٣٥٩

هذه هي أدق صورة لحوادث تلك الموقعة الشهيرة طبقاً لمختلف الروايات . والآن نورد ماتقوله الرواية الفرنجية الكنسية ثم الرواية الإسلامية .

أما الرواية الفرنجية الكنسية فيشوبها كثير من المبالغة والتحامل والتعصب ، وهي تصف مصائب فرنسا والنصرانية من جراء غزوة العرب في صور مثيرة محزنة ، وتفصل حوادث هذه الغزوة فتقول احداها : « لما رأى الدوق أودو أن الأمير شارل (كارل) قد هزمه وأذله وأنه لا يستطيع الانتقام اذا لم يتلق النجدة من احدى النواحي ، تحالف مع عرب أسبانيا ودعاهم الى غوثه ضد الأمير شارل وضد النصرانية . وعندئذ خرج العرب وملكهم عبدالرحمن من أسبانيا مع جميع نسايتهم وأولادهم وعددهم وأقواتهم في جموع لا تحصى ولا تقدر ، وحملوا كل ما استطاعوا من الاسلحة والذخائر كأنما عولوا على البقاء في أرض فرنسا . ثم اخترقوا مقاطعة جيونند واقتحموا مدينة بوردو وقتلوا الناس في الكنائس وخرّبوا كل البسائط وساروا حتى بواتيو . . (١)

وتقول أخرى : « ولما رأى عبد الرحمن أن السهول قد غصت بجموعه اقتحم الجبال ووطىء السهول بسيطها ووعرها ، وتوغل مشخنا في بلاد الفرنج ومحق بسيفه كل شيء ، حتى أن أودو حينما تقدم لقتاله على نهر الجارون وفر منهزماً أمامه لم يكن يعرف عدد القتلى سوى الله وحده . ثم طارد عبدالرحمن الكونت أودو ، وحينما حاول أن ينهب كنيسة تور المقدسة ويحرقها التقى بكارل أمير فرنج أوستراسيا وهو رجل حرب منذ فتوته ، وكان أودو قد بادر باخطاره وهنالكَ قضى الفريقان أسبوعاً في التأهب واصطفوا أخيراً للقتال ثم وقفت أمم الشمال كسور منيع ومنطقة من التلج لا تخترق وانحنت في العرب بحمد السيف »

« ولما ان استطاع أهل أوستراسيا (الفرنج) بقوة أطرافهم الضخمة ، وبأيديهم الحديدية التي ترسل من الصدر توأ ضرباتها القوية ان يجهزوا على جموع كبيرة من العدو ، التقوا أخيراً بالملك (عبد الرحمن) وقضوا على حياته . ثم دخل الليل ففصل الجيشان والفرنج يلوحون بسيفهم عالية احتقاراً للعدو . فلما استيقظوا في فجر الغد ورأوا خيام العرب الكثيرة كلها مصفوفة أمامهم تأهبوا للقتال معتقدين ان جموع العدو جاثمة فيها ولكنهم حينما أرسلوا طلائعهم ألقوا جموع المسلمين قد فرت صامته تحت جنح الليل مولية شطر بلادها . على انهم خشوا ان يكون هذا

(١) هذه هي رواية القديس دني saint Denis — وردت في موسوعة بوكيه Dom Boquet: Recueil des Historiens de Gaule et de la France — III — 310 ووردت في هذه الموسوعة أيضاً أقوال أخرى من الرواة الاجبار